

مقالات

من صميم الثورة السورية

بعد أن زلّت الأقدام

بقلم

الشيخ الداعية المؤرخ

محمد محيي الدين حمادة الغنيمي الدمشقي الميداني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربَّ العالمين، وأفضلُ الصلاةِ وأتمُّ
التسليمِ على سيدنا محمدٍ المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلى
آله وصحبه أجمعين:

وبعد:

فإنَّ أُمّتنا اليوم في ظلِّ هيمنة صهيوصليبية بما لديها
من مخالب حادة حاكمة غرزتها في المشهد السياسي
والعسكري في العالم منذ سقوط الخلافة العثمانية، وفي
ظلِّ وضع أنظمة عسكرية قطريّة مريبة مصنوعة بيد

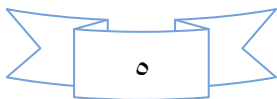
غربية محترفة...

أقول: في ظل نظام حكم السّادة الاستكباري العالمي، ونظام حكم العبيد الديكتاتوري، زلّت أقدام شرائح من أبنائنا سواءً على مستوى العلماء، أو طلاب العلم، والمثقفين، ورجال الأعمال، و الأفراد، أو القادة الميدانيين، والزعماء السياسيين، فالجميع زلّت أقدام شرائح منهم لا سيما في أجواء ثورات الربيع العربي، وفي مقدمتها ثورة الشام الفاضحة التي كشفت اللثام عن شخصيات كُنّا نقدم لها التّحية والإجلال، لا بل إنّ بعضنا كان يلثم الأرض التي كان يمشي عليها بعض

هؤلاء _ على نحو ما صرّح به أخيراً الفنان السابق
والداعية الإسلامي اللاحق وجدي العربي_، لكن ما
لبث هؤلاء أن سقطوا فجأة من القمة إلى الهاوية في
زمن قياسي، و دفعة واحدة، فإذا بالجماهير التي كانت
تعشقهم غدت تلفظهم دون تردد، سواء من قبل
الخاصة من تلامذتهم و مريديهم أو العامة من جهة
دائرة محبيهم !.

هنا تدبّرتُ قوله تعالى في محكم التنزيل من سورة
النحل: { فَتَزَلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا } (آية: ٩٤)، فانتابني
رعدةٌ من خوفٍ و وجلٍ وخشية؛ إذ كيف زلّت أقدام

هؤلاء والكثير منهم كان يشار إليهم بالبنان، لا سيما
وأنّ الباري عزّ وجل لم يقل لنا: "فتزلّ قدمٌ بعد
تذبذبها ونفاقها وتلوّنها، لكن قال: بعد ثبوتها"، أي:
بعد رسوخها... فأدركت أنّ الخطر عظيم لا يستثني
أحدًا، وأنّ الحافظ لنا من الزلّل جميعاً هو الله عز وجل
بشرط أن نأخذ بأسباب أمره ونهيه سبحانه وتعالى،
وتنبّهتُ إلى حقيقة أنّ هؤلاء المتذبذبين _الذين كانت
الأمة تلتمس لأخطائهم الأعذار بسبب ظروف القهر
التي كنّا نعيش فيها_ كانوا قد سقطوا منذ زمنٍ بعيد
دون أن ننتبه، أو نلاحظ الواقع المؤسف الذي يتقلّبون



فيه، وأنَّ الأمر استمرَّ وفق هذه الصورة زمنًا إلى أن
أطلَّت علينا ثورة الشام المباركة برأسها البهيح وبميزتها
الكاشفة والفاضحة حين سلَّطت الأضواء على كافة
الوجوه، فأبرزت طائفة، وانتزعت الأقنعة عن أخرى،
فأمَّا الطائفة التي أبرزتها فقد أسفرت بها عن وجوه
مضيئة صادقة تحكي حقيقة قلوب نظيفة لم نكن ننتبه
لها يوماً، أو أنها لم تأخذ فرصتها في السابق بسبب
تضييق الحصار عليها زمن النظام الغاشم...

وفي المقابل فقد انكشف الستار عن وجوه سوداء
مكفهرة تحكي حقيقة قلوب مُتَّسخة بسبب ولائها

الخفي للنظام الفاسد، أو لصناعة أجهزة النظام
لرجالها، ودعمه لشريحتها!.

أجل ... حدث سقوطٌ مدوّ من أعلى القمة إلى
سحيق الهاوية!

فلله دركٍ يا ثورة الشام ، فكم زلّت في ساحتك من
أقدام، وكم تهاوى في فضائك الرحب من رجال، وكم
تدحرج من عليائك زعيم وسياسي وعالم وتابع
وتاجر!

فمن أين أتى الخلل ؟

في تقديري فإنّ الانحرافَ الحادّ الذي آل إليه أمر

أُولَئِكَم حدث باجتماع عوامل متعدّدة إلتقت في تلك
الشخصيات السّاقطة، فالتّفت حول رقاب أصحابها
بقسوة، حتى شدّت عليها بقوة، فلم يشعر أحدهم إلا
والأرض تميد من تحته!

ولم يمتبّه إلا وهو يغوص في مستنقع الأحداث من
أسفل قدمه حتى مفرق رأسه، ويغرق في وحلها دونها
منقذ له أو منجد!.

العامل الأول: أنّ الباري عز وجلّ لم يطلب من
عباده العلم فحسب، وإنما طالبهم بأن يضمّموا إلى
العلم العمل، إذ ما قيمة العلم الشرعي في ميزان عمل

صاحبه إن لم يقترن بالموقف الإسلامي، ويتجسّد في
واقعه اليومي عملٌ قرآنيّ نبويّ، اقتداءً بسيد المرسلين
محمد صلى الله عليه وسلم؟

لهذا وجدنا القرآن الكريم يطالبنا بالعمل في خطاب
صريح في قوله تعالى: { **وَقُلْ اَعْمَلُوا..** }، بيد أنّ البيان
القرآني لم يأمر بالعمل ومن ثمّ توقف، وإنّما أعلن بأنّ
ذلك العمل سيعرض على الخالق جل وعلا، وعلى
رسوله محمد عليه الصلاة و السلام، بل وسيطلع عليه
المؤمنون أيضاً _إن خيراً فخير، و إن شراً فشرّ، وهي
دائرة تتعدّى العمل إلى الإتيان، تمهيداً للحساب

والمناقشة، و الجزاء و النشر و الاطلاع_و هو ما جاء

في تمام الآية الكريمة من سورة التوبة:

{ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ
وَسَتُرَدُّونَ اِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ } [سُورَةُ التَّوْبَةِ : ١٠٥]

إنَّ مشكلة شريحة من العلماء أنَّها علمت ولم تعمل،
فانخدعت بها الأمة دهرًا، لكن العدالة الإلهية ذات
معايير دقيقة، ومن ذلك أنَّها تمهل ولا تهمل، وأنَّها لا
تقبل بخديعة تبدأ ولا تنتهي، لذلك نجدها دائمة
تتحرك في غفلة من الخادعين بعد أن تعطيهم الفرصة

تلو الأخرى ليثوبوا إلى رشدهم ويتوبوا إلى بارئهم، ثمَّ
ما تلبث أن تدهمهم في لحظة واحدة، فإذا بها تكشف
عن خبايا النفوس، وما أسرَّت القلوب، وإذا بالمتلّوّنين
عرايا في صحراء الحياة بلا لباس يستر سوءة الأيام
الطويلة التي قضاها هؤلاء في الغدر والنفاق والانتفاع
الشخصي على حساب الإسلام وأهله بلا تقوى من الله
عز وجل. قال تعالى: { وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ }،

لهذا عرّف سيدنا علي _ رضي الله عنه _ التقوى
بقوله: التقوى: هي الخوفُ من الجليل، والعملُ بما في
التنزيل، والاستعدادُ ليوم الرّحيل"، لكن يبدو أن هذا

الصف الفاسد من العلماء نسي أن العلم ما أورثك
الخشية، وأنَّ علماً لم يُورث صاحبه الرّهبة من الخالق
والخوف منه - سبحانه وتعالى - فإنّه عبء على أهله
يدخل به صاحبه في زمرة إبليس وجماعته حين اقترن
علمه بالكبر و المراوغة والمخالفة!!.

إنّ هذا المقياس الدقيق ليُعَدَّ وجهاً من وجوه مكر
الله بخلقه، وفي هذا نقراً قول الله عزّ وجلّ في محكم
التنزيل: { وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }

[سُورَةُ الْأَنْفَالِ : ٣٠]

هذا وإنّ من مظاهر استدراج المكر الإلهي بهؤلاء
ومن كان على شاكلتهم ما جاء على لسان الصادق

المصدق خاتم رسل الله - صلى الله عليه وسلم -
موضحاً وخبراً ومتوعداً هذا الصنف الفاسد من
العابثين... وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ
أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ
وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ... فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ
أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا)) [صحيح البخاري]

وفي هؤلاء يقول الإمام الغزالي - رحمه الله -: "من
طلب الدنيا بالدين فهو كمن جعل وجهه ممسحة
لحذائه".

أمّا الإمام القاضي أبو الحسن الجرجاني فيقول في هذه

الشريحة من أهل العلم نظماً لا نثراً:

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانِهِمْ ...

وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لِعُظِّمَ

وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَسُّوا ...

مُحْيَاهُ بِالْأَطْبَاعِ حَتَّى تَجْهَبَهَا.

ويحضرني في هذا المقام ما وقع لمفتي البصرة

وحافظها حمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ - رحمه الله - فقد أُرْسِلَ إليه

مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَمِيرُ الْبَصْرَةِ يَطْلُبُ مِنْهُ الْحُضُورَ إِلَيْهِ

لِأَجْلِ مَسْأَلَةٍ وَقَعَتْ لَهُ، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ حَمَّادٌ وَقَالَ لَهُ

كلاماً حازماً جازماً لا يقبل التأويل: " إِنَّا أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ

وَهُمْ لَا يَأْتُونَ أَحَدًا...، فَإِنْ وَقَعَتْ لَكَ مَسْأَلَةٌ فَأْتِنَا
فَسَلَّنَا عَمَّا بَدَا لَكَ"

العامل الثاني: نظر النظام بخبثه إلى تطُّع تلك
الشريحة من أهل العلم لزخارف الحياة الدنيا،
وتعشّقها لها، وإقبالها عليها فاستثمرها بخبثٍ
واحتراف و حقد منقطع النظر، إذ ما كان منه إلاّ أن
جعل الفرص الإعلامية والدعوية بل والنّشاطات
التبليغية حكرًا على مَنْ استجاب لأغراضه من الشيوخ
والدعاة، أو لمن يعطي إشاراتٍ واضحة على استعدادده
لأن يتعامل مع النظام بطريقة أو بأخرى، في الوقت

الذي حجز فيه تلك الفرص عن الآخرين !

وهنا انقسم الناس حيال تلك السياسة إلى فريقين:

الفريق الأول: من كان من أهل العلم راسخ القدم،
قويّ الصلة بالله عز و جلّ فقد زهد بما لديهم، وأعرض
عنهم، و ولّى مدبراً عن إغراءاتهم الخسيسة التي لن
تُعطي بالمجان أبداً، وإنّما لا بد من دفع الثمن على
حساب ثوابتنا وإسلامنا ومواقفنا وأُمّتنا وشامنا
وعروبتنا...

الفريق الثاني: من كان طالباً لدنيا في ثوب عالم فقد
وقعت عليه صفقة النظام !

وبهذا اشترى أوغاد طاغية الشام في سوق النخاسة
شريحة من علماء و طلاب علم ممن يسيل لعابهم لما
يعرضه عليهم النظام جيئة و ذهاباً، وبناءً عليه فمن
عَيْن مديراً للأوقاف فإنه لم يُعين إلا بعد أن قَبَّل ألف
ألفِ حذاء رجل أمنٍ لينال الرضى من أسياده الجدد
الذين استعبدوه على حساب مرضاة الله عز وجل
وعبوديته لله تعالى!

ومن محطة تقبيل الأحذية غير المرئية للجماهير انطلق
هذا ونظراؤه في رحلة من الذل المهينة عند أقدام
الطغاة حين انخرط هذا الداعية الشيخ ومن لفّ لفّه

من الوصوليين في جهازٍ أمنيٍّ حقير، فصار بالبداهة
عنصرًا من عناصره، وعضوًا من أعضائه، وناشطًا من
نشاطه؛ لأنَّ منصب مدير الأوقاف _بل_ وسائل
المناصب الدينية في سوريا_ هي في عُرْف النظام
السوري مناصب أمنية، يدخل بها صاحبها في منظومة
النظام الأمنية، فيتحول فيها عند المُسكين بالأُمور في
الشام من سيد إلى عبد، ومن متبوع إلى تابع، ومن
طائع إلى عاصٍ، ومن كبير إلى صغير، ومن عالم من
علماء الإسلام إلى عالم من علماء السلطان والشیطان..!
ومن باب أولی هذا ما نقوله في حق من تقلد منصب

وزير الأوقاف، فهو أسوأ وضعاً وأفظع حالاً؛ لأنَّ
منصب وزير الأوقاف هو أشبه بمنصب رئيس فرع
استخباراتي !.

ومن باب أولي من جلس على كرسيّ الإفتاء في
الشام زمن النظام، فهو رجل أمن لا رجل علم، وهو
حاحام في ثوب شيخ إسلام، وهو عنصر من عناصر
الحرس الجمهوري لكنّه لخصوصيّته يمثل من موقعه
رأس النظام بين شريحة طلاب العلم والشيوخ وسائر
ناشطي الدعوة والجهاهير في أرض الشام، وهو موظّف
في القصر الجمهوريّ وليس خادماً في مشيخة

الإسلام، وإنَّه لرقيقٌ من عبيد النظام و لم يكن يوماً
أي: منذ خمسين سنة سيِّداً من سادات الإسلام،
أو كريماً من كرام الأنام، وفي النتيجة فهو أحد الذين
يدورون بكل وقاحة وصغارٍ في فلك النظام!.

ومما يلحق بهذا وذاك من تقلد رئاسة "اتحاد علماء
الشام" _سواء علم بذلك أم لم يعلم_، لا سيما وأنَّ
تأسيس هذا الاتحاد جاء على خلفية سياسية ردّاً على
تأسيس "رابطة علماء الشام" التي أسَّسها علماء ثقات
خرجوا من دمشق الشام، وردّاً على تأسيس سائر
روابط الإسلام التي انبثقت في أرض الهجرة بعيداً عن

سيادة النظام ووصايته واستعباده من نحو "رابطة
العلماء السوريين" التي هي أول ما تأسس من روابط
الإسلام في الشام، و"هيئة الشام الإسلامية" و"رابطة
خطباء الشام" و.....

وكان من الواجب أن يدرك رئيس الاتحاد الأب هذه
الحقائق كلّها، وأن لا يقبل التكليف، لكن أما وإنه قد
قبل به، ولم يُدرك المنزقات التي تحيط به، وتتنظره في
مشواره فيكون قد وقع في السّداجة التي كان يحذرنا
منها أن يقع بها علماؤنا لدى تعاطيهم مع الحُكّام،
وذلك في محاضراته لنا على مدرّج جامعة دمشق!

أما وإنه قد تلبّس بما لا ينبغي أن يتلبّس به فقد
وقع في محذوره وزيادة، وهذا قائم على افتراض تحسين
الظن به، وأنّ الدافع للقبول هو البساطة والعفوية
والسذاجة فحسب !.

وإذا كانت فرضية قبول رئاسة "اتحاد علماء الشام"
من الرئيس الأب منشؤها الاستدراج، فلا يجوز أن
يكون قبول الابن يعود إلى ذات المنشأ!

ثمّ إنّ امتداد العمل في هذا الاتحاد المشبوه خلال
هذه الفترة الطويلة مع ما عصفت بالبلاد من أحداث
خطيرة يدفع العالم العامل، والعامل المنصف لأن يقول

كلمة الحق ولو على نفسه، أو ينسحب ويتزوي في بيته
بعيداً عما يجري حوله، وهذا أضعف الإيمان...

أمّا أن تنطلق الفتاوى الفاسدة التي لا نرضى بها
من ماسوني فاسدٍ_ ممن كان الشيخ الذي يرأس الاتحاد
اليوم يهزأ بأمثالهم بأسلوبه اللاذع الساخر المعتاد، ثم
لما صار على رأس الاتحاد سقط مثل سقوطهم وبصورة
مؤسفة مروّعة أكثر، فهذا مما لا نقبل به أبداً، وإذا
كانت الثورة لا تتدخل في النوايا من نحو قبول رئاسة
الاتحاد أو الاستنكاف عنه، وتكل أمر ذلك إلى الله
تعالى، فإنّ الذي تتناوله الثورة والجماهير معاً هو

البيانات والمواقف والفتاوى التي يُطلقها الاتحاد أو
هيئة الإفتاء، أو وزارة الأوقاف ومن كان على شاكلتهم
من المؤسسات، وهو ما ستناوله في الفقرات التالية
دون أن تأخذنا في الله لومة لائم، ودون مجاملة لأحد.
العامل الثالث: أنّ النظام قام بتقديم الحماية الأمنية
لتلك الشخصيات، والحماية الدعوية للنشاطات
المتواضعة التي يقومون بها في مقابل تحويلهم إلى عبيد
وموظفين في دوائره الديكتاتورية الإرهابية، وفي مقابل
وضع مفاتيح الجاه في أيديهم لكن بعد أن قبض الثمن،
ولما كان أهل الشام يُعظمون إسلامهم، فإنهم بالبداية

يُوقِّرونَ علماءهم وهو الشيء الذي درج عليه العلماء
جميعاً، ومنهم علماء السلطان في الشام، فصاروا ملء
العيون رديحاً من الزمن، ومن هنا قامت ازدواجية
خفية بين علماء السلطان وبين الإسلام الذي يدعون له
ظاهراً، حين صاروا يخلطون بين ذواتهم وبين ديننا
الحنيف وما يتهدّده من أخطار، و ما يُحَاك حوله من
مؤامرات!

هذه الازدواجية تجلّت لنا حين خمدت جذوة الشعور
بالإسلام، وتبخّر الإحساس بالزلازل التي تعصف
بأمّتنا، وبالأعاصير التي تضرب سواحل إسلامنا،

لذلك فإنّك مهما حدّثتهم عن الخطب المدهمّة، والخطر
المحدق فإنهم لا يفقهون!.

ولا غرابة فقد تلبّدت مشاعر الإحساس والانتفاء
لديهم، وما ذلك إلا لأنّهم صاروا يرون أنّ الإسلام
بخير ما دامت ذواتهم ونشاطاتهم الضحلة بخير، فهم
يختزلون إسلام الثقلين في شخوصهم المريضة، وذواتهم
الفاسدة، فينكرون ضوء الشمس من رَمَدٍ، فلا يرون
ولا يسمعون ولا يفقهون، ولا يدركون ما يدركه
العقلاء الغيورون، فأَيُّ خطر هذا مادام صاحب
الازدواجية في مأمن يملأ بطنه طعاماً وشراباً، ثم يخلد

للنوم العميق في سلام !

وأيُّ حرب على الإسلام نتحدّث عنها ما دام
صاحب الانفصام في الشخصية هذا يقدّم دروسه
اليومية في يسر وسهولة دون أن يعترض طريقه أحد!
وأيُّ أخطار يجري الحديث عنها مادام الشيخ مناط
البحث يذهب لأرقى المتتديات يتناول ما لذّ وطاب
من الصنوف العامرة في الغدوّ والأصال!

وإمعاناً من النظام في مسرحيته، و ترسيخاً منه لتلك
الازدواجية المقيّنة وجدناه يقدّم لعلماء سلطانه الأمن
والأمان و الجاه والاطمئنان وهامشاً من السلطان،

ليجذّر في كياناتهم المتهالكة أنّهم هم الإسلام، وأنّ
الإسلام هم، وبالتالي فقد نشأت متلازمة خطيرة لم
يعرفها علماء الأمة من قبل، مفادها أنّه مادام شيوخ
السلطان موجودين فالإسلام موجود، وأنّه ما دامت
مكتسبات شيوخ السلطان قائمة فمكتسبات الإسلام
قائمة!

لهذا تم تسليم بعض شيوخ السلطة هويّات أمنية
يبرزونها عند الحواجز فيُقدّم لهم ولعائلاتهم سلام
التعظيم من قبل قتلة الشعب السوري ومرهبيه!
أمّا من كان أعلى شأنًا من نحو مفتٍ أو وزير فقد

قَدِّمَتْ لَهُ مِرَافِقَةٌ خَاصَّةٌ !.

إِنَّ الَّذِي أَعْرَفَهُ مِنْ مَنْهَجِ الْقُرْآنِ وَالنَّبْوَةِ أَنَّ الْعَالَمَ
يُقَدِّمُ رُوحَهُ وَمَالَهُ لِأَجْلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ مَنْ
قَالَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي وَجْهِ سُلْطَانٍ جَائِرٍ، فَقَضَى بِسَبَبِهَا
كَانَ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ شُهَدَاءِ الْإِسْلَامِ. قَالَ تَعَالَى: { إِنَّ
اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا
فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ
اللَّهِ... } [سُورَةُ التَّوْبَةِ: ١١١]

وَقَالَ نَبِيُّ الْهُدَى وَالْجِهَادِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَالَ إِلَى

إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ)) (الحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه)

وجاء ذات يوم رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه و

سلم فقال له: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةٌ حَقٌّ عِنْدَ

سُلْطَانٍ جَائِرٍ» [أخرجه النسائي في السنن الكبرى بسند صحيح]

ما أعرفه عن إسلامنا أن الذي كان يقود الغزوات

هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام

في الصفوف الأولى، ومن بعده أمسكوا بالزمام، وأنَّ

كبارات رجال الإسلام كانوا على هذا النهج منهم شيخ

الإسلام ابن تيمية، والشيخ المغربي عبد الكريم

الخطابي، والشيخ الأمير عبد القادر الجزائري، والشيخ
المجاهد عمر المختار، والشيخ الحاج أمين الحسيني،
والشيخ عز الدين القسام، والشيخ أحمد ياسين،
والشيخ إسماعيل هنية، والشيخ خالد مشعل، والقائمة
تطول وتطول...، فأين شيوخ السلطان هؤلاء من
مسؤوليات الأمة الجسام، أم أنه جاء وظفت له هامات
دين الإسلام!.

على منهاج النبوة كان الرعيل الأول، وعلى تلك
الخطى المباركة سار علماء السلف الصالح من الصحابة
والتابعين وتابعي التابعين، وعلى تلك المحجة البيضاء

الناصرة سار علماء القرون الأولى التي شهد لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالخيرية، بل وهكذا كان العزُّ
بن عبد السلام وتلميذه قطز، وصاحب تلميذه الظاهر
بيبرس، وهكذا سار العلماء العاملون إلى يومنا المعهود،
وكذا من سار على نهجهم المبارك إلى يوم الدين.

هكذا كانوا وهكذا سطرَّ لنا التاريخ سيرتهم، فهذا
الإمام الأعظم أبو حنيفة - رحمه الله - يُضرب ويُسجن
ليكون قاضيَ سلطانٍ فيأبى... ويموت في السجن، كما
ذكر وصحح ذلك ابنُ خلكان - رحمه الله -

وهذا شمس الأئمة.. القاضي المجتهد ابن سَهْل

السَّرْحُسي (٤٨٣ هـ) يُسجن بسبب كلمةٍ نصح بها
الخاقان-المَلِك-.. فكتب أشهر كتبه " المبسوط في
الفقه والتشريع " ويقع في ثلاثين جزءاً، وهو في
السجن بالجب. لذا قال عند فراغه من شرح العبادات:
" هذا آخر شرح العبادات، بأوضح المعاني، وأوجز
العبارات، إملأء المحبوس عن الجمع والجماعات "
وهذا الإمام مالك-رحمه الله- كذلك يُجلد لقوله
كلمة الحق وهو عالم المدينة...

وهذا الإمام أحمد -رحمه الله- يُكبل بالسَّلاسل
شهوراً، ولا يتراجع عن الدفاع عن عقيدة أهل السنة.

وبعد هؤلاء جميعاً باع الشيخ عز الدين القسّام كل
ما يملك حتى بيته وأثاث منزله كي لا يبيع فلسطين
وهاجر إلى الجبال ليقود المعارك لأجل أن لا يتسلّط
دِعيٌّ على أمة الإسلام، والقائمة لن تتوقف....

فأين أنتم يا أذعياء أسود السنة؟! فما عذركم؟!

وعلى خطى من يسير نهجكم؟!

كان الجميع في تاريخ هذه الأمة يتساقطون في سبيل
إعلاء كلمة الدين، حتى جاء طالعكم المشؤوم حين
انقلبت المفاهيم، فصار لا ضير أن تسقط الأمة
وتتزلزل الأرض من تحتها ما دام أصحاب الفضيلة

والسماحة في جاههم الدنيوي يتقلبون، وفي مصالحهم
الشخصية يدورون!.

أليست تلكم مأساة العصر المستحكمة في قوم
شدوا عن الطريق، وتلبَّستهم الأمراض، وأصابهم
الغلو، ونزل بهم الضياع، وهم يظنون أنَّهم على شيء،
حتى صدق فيهم قول القائل:

يا معشر العلماء يا ملح البلد ... ما يُصلحُ المِلْحَ إذا
المِلْحُ فسد؟!، وقول الآخر:
وعالمٌ بعلمه لم يعملنْ....

مُعَذِّبٌ من قبل عُبَادِ الوثن

على ضوء هذا التمهيد نستطيع أن ندرك السرّ الذي يقف وراء البيان الذي أطلقه ما يسمى بـ "اتحاد علماء الشام" في التنديد بالبيان الذي نادى به علماء عاملون، وغيورون سعوديون أحرار من أرض المملكة العربية السعودية في تحذير شديد اللهجة من الحملة الصليبية الأرثوذكسية التي قامت باحتلال سوريا على خلفية إحادية وأداة تنفيذ باطنية نُصيرِيَّة ورافضيَّة مشتركة، والتي بدأت بإعمال آلة الحرب والقتل الروسية المدمرة في أرض الشام ، وبناء على ذلك استدعى بيان علماء السعودية الجهاد في سبيل الله لصدّ تلك الحملة

ودحرها، فما كان من المتسبين لاتحاد علماء الشام
المزعوم إلا أن غضبوا...؛ لكن لروسيا وليس لله عز
وجل، وانتفضوا...؛ لكن للمخطط الصليبي وليس
لإسلام أهل الشام الذي تتهدده الأخطار، وارتفعت
صيحاتهم...؛ لكن للمقاتل الروسي الذي جاء يستريح
العرض والأرض بمباركة الكنيسة وليس لأبناء الشام
الذين يدك الجندي الروسي بطائراته أرضهم، ويقتحم
بدباباته مدنها وقراها، ويغتصب بآلته القدرة من
تطاله تلك الآلة من حرائرهم في المواقع التي يجري
احتلالها!

أما المجاهدون الذين يبذلون الغالي والنفيس
ويقدمون الروح رخيصة في سبيل الله لمواجهة تلك
الحملة الصليبية الحاقدة، فهم محل غضبهم وتشكيكهم
وإنكارهم واستنكارهم؛ لأنّ الولاء بات عندهم
للنظام وليس للإسلام، ولأنّ الخطر لم يدهم بعد
بيوتهم.... وعن أيّ خطر نتحدّث؟!

أليست بيوتهم ومزارعهم ومتاجرهم في خير.. فأين
الخطر؟!

أليست عائلاتهم وأعراضهم في مأمن فما معنى
الحديث عن تسونامي يتهدّد عائلات المسلمين

وأعراضهم؟

أليسوا يأكلون ويشربون ويتقلبون كما تتقلب
الأنعام في حظائرها غير آبهة بما يدور حولها.. فعلام
الحديث عن جوع وحصار ونقص في الأساسي من
الغذاء والدواء؛ لأنَّ كلَّ ذلك متوفّر في بيوتهم
وثلاجاتهم؟!

أليست ذواتهم المريضة في سلام فهل يصح حديثٌ
عن الموت والقتل في أمة الإسلام؟!
أطلقوا بيانهم ولسان حالهم يقول:

”أنتم يا علماء السعودية، ويا علماء الأمة والإسلام

لا تفقهون ولا تدركون فهم الإسلام؛ لأننا نحن
الإسلام، ونحن لا أخطار تحيط بنا الآن !!".
"أنتم أيها الأعداء لا تتبهون إلى أن أصحاب
السماحة والفضيلة في مأمن من الأخطار المحدقة، وهم
الأمة وهم الإسلام وهم المحور الجامع ومركز الثقل
الجاذب في بلاد الشام !!".

أجل، تلکم هي حقيقة الانفصام في الشخصية ،
فالقوم ما داموا في رَغَد العيش يتقلبون فلا هم ولا
حزن ولا مصاب، ولو اغتصبت في أقبية فروع الأمن
على مقربة من بيوتهم آلاف من حرائر الأمة في الشام،

وهم لا يشعرون؛ لأنّ زوجاتهم وبناتهم وحفيداتهم في
مأمنٍ من هذا كلّه!

وهم لا يتبهون ولو دكّت طائرات الغدر الأسدية
والروسية الغوطة أو المخيم بمن فيه من رجال وشباب
ونساء وأطفال، ولو سمعوا صوت الصواريخ، أو
شاهدوها تمرّ من فوق رؤوسهم لتحثّث الدمار
والخراب والآهات في أبناء الشام من عائلات كانت
تُكِنُّ لهم فائق التبجيل والاحترام، وها هي تستبدل
اليوم بالاحترام الماضي لعنة حاضرة مع مزيد من
الاحتقار!

إنهم لا يتخذون المواقف الإسلامية المرجوة من
أحدهم ولو دُكَّت مئات المساجد مادامت مساجدهم
التي يخطبون فيها بخير!

هُم لا تُحَرِّكهم مشاهد دمار البنية التحتية لسوريا
بالبطائرات الروسية ومدافع الهاون الصفوية مادامت
بنية بيوتهم التحتية لم يصبها مكروه!

ومن يدري فربما في لحظةٍ ما تحركت قليلاً ببلادة
الحسّ من مشاعرهم وهم يسمعون صوت الصاروخ
مرتين_ يدويّ في رؤوسهم_:

مرة حين يطلقه القتلّة الأوغاد، ومرة حين يصل إلى

هدفه بين أبناء سوريا الشام فيحيلهم إلى أشلاء..

لكن ما يلبث الإحساس المتلبّد أن يدخل إلى
ثلاجة الموتى تارة أخرى، حين يعذرون أنفسهم
بمقولة متهافئة - طالما ردّدها النظام - من أنّ هؤلاء
إرهابيون ! وهم وراء كل هذا الدمار ! فيستحقون ما
نزل بهم !

أيّ انتماء هذا للإسلام ولأمة الإسلام، وللعروبة
التي هي لغة القرآن، و للوطنية التي تضم إلى خندقنا
كل المخلصين من أبناء سوريا الشام ؟!

من الذي فجّر الثورة في الشام؟

هل السعودية أو علماء السعودية؟!

بالتأكيد لا، إِنَّ الذي فجّرَها هو ظلم النظام،
وتراكمات الأيام، وسكوت علماء السلطان حتى جاء
من أخذ عن هؤلاء المتقاعسين زمام المبادرة.

لقد فجّر الثورة طائفية النظام وما تفرّع عنها من
أحقاد ومظالم وآلام.

فجّر بركانها الهادر محاربة الإسلام على مدى خمسة
عقود، بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى وأبعاد.

فمن الذي كان ينزع الحجاب على أبواب المدارس
من حدود الأردن في نصيب إلى الحدود التركية في باب

السلامة والهوى، ومن السّاحل في الغرب إلى حدود
العراق في اليعربية في الشرق؟!.

حدث ذلك لسنوات و ليس لأيام، وحدث في
الشوارع والأسواق، ولما قال أحد الآباء لإحدى بنات
النُصَيْرِيَّة وهي تمدُّ يدها القذرة لانتزاع حجاب ابنته:

إنَّ ابنتي مستعدّة لخلع حجابها بشرط أن تنزعي
عني سروالك الداخلي_ وهو يظن أنَّها لن تفعل_ فإذا
بها وقد أرختْ سروالها، ثم نزعت حجاب الحرة!
أين كانت بياناتكم وغيرتكم وأصواتكم يومئذ؟.

أين كنتم يوم دافع بعض الأزواج والآباء عن

أعراضهن فقتلوا؟!!

أين كنتم يوم وصلت تلك الأحداث المروعة إلى
المقبور_ و كان قد تزعم كبرها على نحو ما قيل أخوه
الهارب من القانون "رفعت الأسد" _ فدافع عنها
الهالك آنذاك بقوله: "الله أكبر ماذا أرى؟

بحراً أرى! هديرأ أرى! ثورة على الظلم وعلى
الاستبداد وعلى الرجعية أرى!

هؤلاء هم بناتنا! هذا هو شعبنا ؟ فأين هم
أعداؤنا"!.

بل أين كنتم يوم وضعت فرنسا الصليبية
الاستعمارية حجر الأساس لجيش الشرق من مادة
الأقليات و سلّمته للطائفة النُصيريّة، وهو الذي صار
يعرف فيما بعد بالجيش العربي السوري الذي يقتلنا
اليوم؟، والذي سلّم بلادنا للمجوس أوّلاً؛ ليلعن في
الجامع الأمويّ الكبير، وفي ساحات الشام صحابة
رسول الله صلى الله عليه وسلم الكرام، ثم سلّمه للدبّ
الروسي ثانياً الذي جاء بواجهة صليبية وخلفية
إلحادية، وظروف انتقاميّة؟!.

ألستم أنتم -يا اتحاد علماء الشام- المزعوم من كنتم

تُزِيدُونَ وَتُرْعِدُونَ عَلَى مَنَابِرِكُمْ يَوْمَ دَخَلَتْ قَوَاتُ
رُوسِيَا إِلَى أَفْغَانِسْتَانِ؟

أَلَسْتُمْ مَنَ كُنْتُمْ تَتَحَدَّثُونَ فِي مَجَالِسِكُمُ الْخَاصَّةِ
وَالْعَامَّةِ عَنْ فِظَائِعِ الرُّوسِ فِي الشَّيْشَانِ؟!

أَلَسْتُمْ مَنَ كُنْتُمْ تَتَنَاولُونَ مَنَ خِلَالِ اجْتِيَاكِ الرُّوسِ
لِأَفْغَانِسْتَانِ وَالشَّيْشَانِ الْخَطَرَ الدَّاهِمَ الَّذِي يَحِيقُ بِأُمَّةِ
الْإِسْلَامِ عَامَّةً وَبِأَبْنَاءِ الْأَفْغَانِ وَالشَّيْشَانِ خَاصَّةً؟!

أَيْنَ تَبَخَّرْتِ نَخْوَتَكُمْ؟!، وَكَيْفَ مَاتَتْ غَيْرَتَكُمْ؟!،
وَلِمَاذَا تَلَبَّدَتْ مُشَاعِرُكُمْ؟!.

أَيْنَ كَانَ رَئِيسُ الْإِتِّحَادِ وَهُوَ مُحَاضِرٌ فِي كَلِيَّةِ الشَّرِيعَةِ

بدمشق_ يوم كان النُصَيَّرِي "نصر تيشوري" الذي
كان يشغل رئيس الدائرة في الكلية أثناء امتحانات
الطلاب الرسمية يشتم الذات الإلهية بالعبارات
الصريحة التي لا لبس فيها، ويركل كتب التفسير والفقه
بقدميه على رؤوس الأشهاد؟! وقد رفع إليه، وإلى أبيه
هذا الموضوع فأعرضا عنه متغافلين.

ثم ما هذا التبدّل السريع في المواقف لصالح النظام؟
ألم يكن فضيلة الشيخ كريم راجح شيخ قراء الشام
حفظه الله صاحب الخطوة في مجالسكم، وأستاذاً
من أساتيدكم، فكيف انقلبت مواقفكم حين قال كلمة

الحق في شامه وشامكم، وأمته وأمتكم، وفي مستقبله
ومستقبلكم، أم تراكم صرتم نُصيرين فتلک صارت
أمتكم، وإلى باطنيتها صار ذودكم وانتسابكم؟!.

أم أنکم استحلتم إلى أرثوذكس روس، وإلى إباحين
ملاحدة_ لا سمح الله_ فاستبحتم بانتمائكم الجديد
كافة الخطوط الحمراء في كتابكم وسنة نبيكم وإجماع
فقهاءكم؟!.

ثم ألم يكن فضيلة الشيخ أسامة الرفاعي العالم
النحرير، و صاحب الرأي الراجح في مجتمعكم، وهو
الذي كان يُقبَلُ يدهُ كثيرٌ من متسبي اتحادكم؟!.

كيف انقلبتم عليه لحساب عبوديتكم لسيدكم على
حساب عبوديتكم لخالقكم؟!.

ألهذا الحد كُنَّا مغشوشين بكم؟

ألم تسمعوا بروسيا الملحدة التي حوّلت المساجد إلى
حظائر، وحظرت نسخ القرآن الكريم قرناً من الزمان
حتى صار اقتناء صفحة من كتاب الله تعالى جريمة
يحاسب عليها القانون، فكيف تدينون من يدين
احتلالها لسوريا، لا سيّما وأنّ الكنيسة قد باركت
حربها، وأعلنت أنّها ليست للدفاع عن النظام، وإنّما
هي حرب استباقية لمنع عزّ الإسلام؟!.

ألم تسمعوا بـ "نتن ياهو" الذي أعلن بأن رؤية
إسرائيل وروسيا تتطابقان، وقد أيدّ تصريحه الناطق
باسم الكرملين؟!

ألم تسمعوا بالخارجية الروسية وهي تعلن بالتنسيق
مع تل أبيب لإقامة تدريبات جوية روسية إسرائيلية
مشتركة، وبأنّ الفريقين الصهيونيين يعملان لكي
تكون الأجواء السورية صافية لطائرات "تل أبيب" و
"موسكو"؟!.

ألم يصل إلى سمعكم تصريح الخارجية الإيرانية في
(١٥-١٠-٢٠١٥م) من أنّ سقوط الأسد تهديد لأمن

إسرائيل وذلك على لسان نائب وزير خارجيتها عبد
اللهيان.

ألم تسمعوا ببوتين الذي يشيد به مجنونكم على منبر
مسجد بني أمية الكبير، والذي يقول عن أمّه: إنّها
كانت تبيع "الفودكا"، وكانت تحسن اختيار
معشوقها؟!.

لماذا لم تردوا على الخطيب المأفون ببيان؟

أستغفر الله تعالى بل هما مأفونان ضالان مضللان؛
أحدهما أبوالهزيمة في حلب والآخر أبو المسخرة في
دمشق عاصمة الأمويين، وكلاهما يرحّب بالدب

الروسي على طريقته في تأييده للجحش السوري، في
سبيل إحياء المشروع الصفوي برعاية صهيونية صليبية
وبمباركة كنسية استعمارية!!.

بل ألم تسمعوا عن حفل اختيار ملكة جمال الساحل
الذي كان غرابكم المفتون، أحد أعضاء اتحادكم
وعضواً في لجنة التحكيم فيه بين فتيات سوريات في
عمر الورد، لكن بلباس فاضح شبه عارٍ، فأين
نخوتكم وإسلامكم وصوتكم وبياناتكم؟!.

ولماذا لم تفصلوه من اتحادكم بعد بيان إدانة لتصرّفات
الصبيانية الفاسقة؟!.

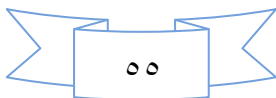
هل بعد هذا الهوان من هوان؟!.

أم أنّ بياناتكم تأتي بأوامر من المؤسسة الأمنية التي
تدورون في فلكها، والتي جاء تأسيس الاتحاد بقرارٍ
منها، بل وجاء تعيين رئيس الاتحاد بأمرٍ صادرٍ عنها؟!.

إنّ من مخازيكم ما نُقل لنا عن رئيس اتحادكم من أن
النّظام مجرم في غاية الإجرام، وأنّكم لا تسعون
لاستفزازه خشية على البلاد والعباد!

فهل سياستكم الانهزامية منعت ما جرى على
أرض الشام من استفزاز ودمار؟!.

ألم تقرأوا سورة البروج، وتطلّعوا على موقف الغلام



الذي قال كلمة الحق، فأحيا الله عز و جل به أمة
بكاملها وسقط الملك، وسقطت بثبات الغلام
ضلالات الطُّغمة الحاكمة آنذاك ؟

أرى أنكم قرأتم نصف القصة، فاكثفتم بموقف
الرَّاهب الذي خشي الفتنة على نفسه فوق فيها، فلم
يفدِ نفسه، ولم يمنع أخطود الموت عن أمِّته، فاتَّخذتموه
لكم قدوة، و ارتضيتم أن تسيروا على درب ضعفه
وجبنه وارتباك وخوفه على نفسه ومصالحه !.

لقد تركتم الغلام الذي تتلمذ على يديه، ففاقه في
العمل ولم يفقه في العلم، فخلد الباري عز وجل له

موقفه الذي حمى به الأمة وعقيدها!

للأمانة أقول لكم: أنتم ما زلتم في واجهة مسرح
الأحداث منذ خمسين سنة ومن ورائكم مدارس
شيوخكم الثقات الذين حرفتم بوصلة مسيرتهم عن
جادة صوابها!.

في هذه العقود الخمسة أَمِنَ مغتصبو مسرى نبيكم،
و استنسرَ المشروع الصفوي في بلادكم، ووصل الدبُّ
الروسي إلى أرضكم، ولم تزد البلاد إلا سوءاً في
عهدكم وعهد أسيادكم، فإذا ما كنتم صادقين في خدمة
دينكم وشامكم فأفسحوا الطريق لغيركم بعد خمسة

عقود من الإخفاقات والتنازلات، لا سيما وأنَّ الأمر
قد خرج من يديكم وصار لغيركم، لكنكم لغيركم
وجهلكم وغروركم وتلبُّد مشاعركم لا تتبهُون إلى
الخطر الحقيقي الذي بات محققاً بكم !.

أيُّها المنسَّقون مع النظام، المدافعون عنه، الخائفون
من زواله، الحريصون على بقائه، لستم مِنَّا ولسنا منكم،
لستم من شامنا وليست شامنا من أولويَّاتكم.

لقد سقطتم منذ زمن بعيد دون أن ننتبه لإسقاط الله
عز و جل لكم، بعد أن زلَّت بكم الأقدام بفعل
أنفسكم دون أن تظلمكم الأقدار فيما نزل بكم من

شتائم تُكّال لسمعتكم، تُدندن حول وقاحتكم وقلة
حيائكم !.

زمن طويل مضى بين زلّة القدم والسقوط الرسمي
لجناب حضراتكم، ومرّد ذلك يعود إلى المهلة التي
أعطيت لكم من قبل خالقكم فلم تستفيدوا منها،
ويعود إلى الإهمال الإلهي الذي لا إهمال فيه، بيد أنكم
فرّطتم وكنتم فيها غافلين عن مراقبة بارئكم!

أما الآن فقد آن الأوان لإعلان السقوط الرسمي
لدواتكم وشخصكم وعائلاتكم وتاريخكم إعلاناً
تلقته الأمة بالقبول، إعلاناً لن يندم عليكم فيه أحد،

إعلاناً خرجتم فيه من التاريخ غير مأسوف عليكم مالم
تتوبوا إلى ربكم قبل أن يسقط النظام، بل قبل أن يدخل
في الغرغرة، ولن ينفعكم ارتباطكم، ولن تجدي لدى
الثورة أعذاركم، فالمعركة معركة أمة، من يقف فيها مع
الطاغية وأسياده في طهران الصفوية، وموسكو
الشيوعية الصليبية فهو عدونا ولو كان من مدرستنا،
وأستاذنا لنا، بل ولو جمع كافة أسباب القربى في الدنيا
من الجهة العلمية والنسبية.

أما من وقف في صف الإسلام والجهاد والشام
والشعب والثورة فهو حبيبنا، مهما كانت الأواصر بيننا

مقطوعة، فالنسب اليوم نسب الخندق الواحد في
مواجهة المشروع البعثي الباطني الصفوي الإلحادي
الأردكسي الصهيوصليبي الإرهابي المجرم.
أخيراً..

فإنني لا أعمم في مقالتي في حق كل من أُجبر على
الانتساب إلى "اتحاد علماء الشام" من علماء ثقات
لكنهم خائفون من بطش النظام ، ولم تقم بينهم وبين
فروعه الأمنية صلة ارتباط أو قرى، ولم يعرفوا فروع
الأمن إلا في زمن الاستدعاء لهم صاغرين، ولم يبحثوا
عن المناصب، ولم يتقلدوها، ولا يدافعون عن النظام،

ولا يذودون عن جرائمه القدرة، فهم مثل سائر
السوريين في السجن الكبير بالنسبة للمناطق التي لم يتم
تحريرها بعد، فهؤلاء لا نعفيهم من المسؤولية لكن
ليسوا عملاء بل ضعفاء، وهؤلاء لا يتناولهم المقال،
ولا يجني عليهم، ولا يضعهم في سلّة واحدة مع الخونة
والمرتزقة من علماء السلطان المرتبطين به والمصنوعين
على عينه منذ زمن بعيد.

لكن ماذا سيكون جواب هؤلاء بين يدي بارئهم
عندما ينادي الرقيب -سبحانه- ملائكته ويقول:
{وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ}، فالجميع سيسأل، وسؤال

العالم أشد، لكن ماذا سيجيب هؤلاء بارئهم بعد أن
زلّت منهم القدم، وبعد أن غدوا شركاء في أفظع
جريمة تعرّض لها الإسلام وأهله، و تعرّضت لها
الشام؟! .

اللهم! إنّنا نعوذ بك من الحور بعد الكور، ومن زيغ
القلوب، ومن زلّة الأقدام، وخاصّة في ثورة الأمّة في
الشام، بعد أن تكالب عليها اللثام، وتداعت أمم
الأرض لحماية طاغية الشام، الذي صنعوا منه كلب
حراسة لاستمرار تدفق الحياة في عروق من اغتصب
القدس والأقصى وفلسطين الحبيبة مسرى سيد الأنام

عليه أفضل صلاة و أزكى سلام، وآخر دعوانا أن
الحمد لله رب العالمين.



كتب هذه المقالة
نزيل المدينة المنورة
محمد محيي الدين حمادة الدمشقي الميداني .
(سَحَر الليلة الأولى من السنة الهجرية لعام ١٤٣٧ هـ)